#  تفسير قصار السور: "مالك يوم الدين"

# يوم الخميس 07/09/1441هـ لفضيلة الشيخ الدكتور : عبدالعزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذا هو الدرس السادس من شرح قصار السور في يوم الخميس السابع من شهر رمضان لعام ألفٍ وأربع مئة وواحدٍ وأربعين من الهجرة النبوية، وكنا توقفنا في الدرس الماضي عند قوله عز وجل ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **[الفاتحة:3]**، وفي هذا اليوم نتكلم عن قوله عز وجل: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**[الفاتحة:4]**.

ومالك يوم الدين نعتٌ لله تعالى، فوصف نفسه سبحانه بأنه مالك يوم الدين، ومالك يوم الدين يعني مالك يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، ومالك أي أنه يملك مجيئه ووقوعه ، أو هو الحاكم في ذلك اليوم فلا حاكم غيره ولا ينفذ إلا أمره سبحانه وتعالى، ويوم الدين هو يوم الجزاء.. وقد قيل:

**واعلم وأيقن أن ملكك زائل \*\*\* واعلم بأن كما تدين تدان**

"مالك يوم الدين" هذه قراءة عاصم والكسائي، وفي قراءة أخرى "ملك يوم الدين" وهما قراءتان سبعيتان صحيحتان .

مالك يوم الدين يرجع إلى مالك من المِلك، وملك من المُلك، وهما يرجعان إلى معنى الربط والشد .

وقد اختلف أهل التفسير في أيهما أبلغ مالك أم ملك؟

فقيل : أن مالك أمدح وأبلغ من ملك لوجوه، هي :

الوجه الأول: لزيادة مالكٍ في البناء، ومن المعلوم أن زيادة المبنى زيادة في المعنى، فإن مالك أربعة حروف، وملك من ثلاثة حروف .

الوجه الثاني: لزيادة أجر التالي لزيادة الحروف .

الوجه الثالث: لكثرة من عليها من القراء، وأكثرَ أبو حيان في تفسيره "البحر المحيط" من الوجوه التي تُرجّح ذلك .

وقيل: إن ملك أمدح وأبلغ من مالك لوجوه، هي :

الوجه الأول: لأن الله تمدح بقوله "مالك الملك" ولم يقل "مالك المِلك".

الوجه الثاني: لدخول المالك تحت حكم الملك .

الوجه الثالث: أن هذا اللفظ الذي هو ملك يفهم منه معنى السلطان والقوة والتدبير.

والمشهور عن المفسرين كما قال ابن عطية في المحرر الوجيز: أن ملك أعم من لفظة مالك، إذ كل ملكٍ مالك وليس كل مالكٍ ملكًا، وقد تتابع المفسرون على سرد هذه الحجة.

هذه الآية فيها لطائف ، فمن لطائفها :

 **اللطيفة الأول :** ذكر الرازي رحمه الله في تفسيره، أن الله تعالى ذكر في هذه الآيات خمسة من أسمائه الحسنى: الله والرب والرحمن والرحيم ومالك، والسبب فيه كأنه يقول سبحانه: خلقتك أولًا فأنا إله، ثم ربيتك بوجوه النعم فأنا رب، ثم عصيتَ فسترتُ عليك فأنا رحمن، ثم تبتَ فغفرتُ لك فأنا رحيم، ثم لابد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين .

**اللطيفة الثانية :** أن هناك فرقًا بين مُلك الله تعالى وملك المخلوق ، فإن الله تعالى سمى سبحانه بعض خلقه بالملك، كما قال عز وجل ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ **[يوسف:50]** .

وقال سبحانه في سورة الكهف ﴿وكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾**[الكهف:79]** .

وقال أيضًا ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾**[النمل:34]** ، لكن ملك المخلوق قاصر ومقيد وطارئ، وليس بمطلق وإنما هو محدود، ولا هو دائم وإنما هو يزول ، وهو أيضًا يحتاج في تحصيل ملكه إلى الأعوان، ويحتاج إلى تثبيت ملكه إلى الأعوان ، وهو قد يملك لكن لا ينفذ أمره .

أما الله عز وجل فملكه مطلق ، وكامل ، وتام ، ودائم ، ولم يحتج إلى الأعوان في تحصيل ملكه ، ولا يحتاج إليهم في تثبيت هذا الملك .

**اللطيفة الثالثة** : أن الله عز وجل لما وصف نفسه سبحانه بالرحمن في قوله "الرحمن الرحيم" انبسط العبد وغلب عليه الرجاء؛ فنبّه سبحانه بصفة المُلك أو المِلك ليكون من عمله على وجل، ومن يوم الدين على خوف .

**اللطيفة الرابعة :**أن الذي يؤتي الملك هو الله عز وجل ، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[آل عمران:26]**.

فالعبد لا يستطيع أن يصل إلى شيءٍ من الملك إلا بإذن الله عز وجل وأمره، فلو أنه ابتغى نفقًا في الأرض أو سلمًا في السماء ليصل إلى شيءٍ من الملك فلن يصل إلا بأمر الله تعالى وإذنه .

**اللطيفة الخامسة** : أن قوله عز وجل "مالك يوم الدين، يسلي الله به المؤمنين، ويسرّي عن المظلومين، لأنه سبحانه في الآخرة يسوّي بين العالمين ، ويقتص للمظلومين من الظالمين ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ **[النور:25]**

 **اللطيفة السادسة** : لماذا خص الله عز وجل ملكه بيوم الدين؟ لأنه في ذلك اليوم لا منازع له سبحانه ولا معارض، كما قال عز وجل ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر:16] .

وجاء عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: **((يحشر الناس يوم القيامة عراةً حفاةً بهمًا فيناديهم الرب جل جلاله بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أن الملك أنا الديَّان))** .

وفي حديث آخر أنه سبحانه ينادي **((أين الملوك أين الملوك أين الجبارون أين الجبارون فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه فيقول: الملك لله الواحد القهار)).**

**اللطيفة السابعة** : أن الأيام كلها محلٌ للجزاء ،فأيام الدنيا محلٌ للجزاء ، كما أن الآخرة محلٌ للجزاء أيضًا؛ فالله يُجازي أهل الإحسان بالإحسان ، وأهل الإساءة بالإساءة في الدنيا ،لكن الجزاء في الدنيا لا يظهر لكثيرٍ من العباد، أما جزاء الآخرة فظاهر .

اللطيفة الثامنة :استنكر سبحانه على الذين يتعلقون بمن لا يملك، فقال سبحانه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ **[النحل:73]** .

وقال سبحانه ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[المائدة:76]** فالعجب كل العجب ممن يتعلق قلبه ويتوجه فؤاده إلى من لا يملك في الدنيا الملك الحقيقي، فيتوجه إليه ويتعلق به وهو لا يملك ، وبعض الخلق يتعلقون بخلقٍ مثلهم، على أن هذا الذي يتعلقون به لا يملك على الحقيقة.

**اللطيفة التاسعة** : أن الله عز وجل أبطل عبادة غيره لأنه لا يملك، قال عز وجل ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾**[الفرقان:3]**

 وقال عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾**[فاطر:13]** .

 **اللطيفة العاشرة** : "مالك يوم الدين" تذكيرٌ للإنسان بالضعف والفاقة ،والفقر والحاجة، ولهذا يقول النبي ﷺ في مواضع من القرآن : ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا ﴾**[الأعراف:188]** فإذا كان الرسول المكرم ، والنبي المقدم يقول هذا ، فما الظن بمن دونه من سائر الخلق وبقية الناس؟

**اللطيفة الحادية عشرة** : "مالك يوم الدين" قرر سبحانه ربوبيته وألوهيته لكمال ملكه وتمامه ، فإنه سبحانه قال قبلها :"الحمد لله رب العالمين".

ولهذا نظائر في القرآن ،قال سبحانه ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾**[يونس:31]** .

**اللطيفة الثانية عشرة** : أنه يظهر للخلق في ذلك اليوم تمام الظهور كمال ملكه وتمام عدله وبالغ حكمته، لأنه يعرض على الخلق ما عملوه من خير وشر ويجازون عليه .

**اللطيفة الثالثة عشرة** : "مالك يوم الدين" ترهيبٌ من المعصية، وتخويف من الذنوب .

 في دقة الحساب:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[الزلزلة:7]

وفي العجز في ذلك المقام: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : 19].

**اللطيفة الرابعة عشرة** : أن ملك الله واسع ، فخزائنه لا تنفد وعطاؤه لا يتوقف، روى مسلمٌ في صحيحه أن النبي ﷺ قال :**(( يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ، ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ... ))**.

 **اللطيفة الخامسة عشرة** : أن المخلوق يملك لكنه يبخل ويضن ، ويمنع ويشح ، كما قال الله عز وجل ﴿قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾**[الإسراء:100]** و.

وكما قال عز وجل ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾**[النساء:53]** والعجيب أن الناس يذهبون إلى من يبخل عليهم ويؤملون في من يظن عليهم ولا يلتفتون إلى المالك الذي يعطي من غير عدٍ ولا حساب.

 **اللطيفة السادسة عشرة**: "مالك يوم الدين" تُزهّد في الدنيا وتعرف العبد بحقيقتها، دخل محمد بن السماك على هارون الرشيد وفي يده كأس ماءٍ ، فقال هارون لمحمد بن السماك عظني فقال له: يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس الذي في يدك لو منعت منه، فقال هارون: بنصف ملكي ،فقال له : ولو منعت من إخراجه من بدنك بعد شربه بكم تشتريه؟ فقال: بنصف ملكي الآخر، فقال محمد بن السماك: إن ملكًا يساوي هذا لخليقٌ ألا يُتنافس فيه.

**اللطيفة السابعة عشرة** : " مالك يوم الدين" أن المؤمن لا يسأل إلا الله، ولا يرغب إلا فيه، ولا يطمع إلا فيما عنده، ولا يستجير إلا به، ولا يؤمل إلا في عطاءه ،ولا يرجو إلا فضله ، جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: **(( إن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له))**.

دخل هشام بن عبد الملك أحد الخلفاء إلى الكعبة فرأى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فقال له سلني حاجتك فقال له سالم: أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلما خرج من البيت قال له هشام : سلني حاجتك يا سالم فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة، فقال له: بل من حوائج الدنيا فقال له سالم: ما سألت الدنيا ممن يملكها فكيف أسألها ممن لا يملكها .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .